



## الدين والعلم

### للاستاذ البرت اينشتين

كلّ ما يأتيه الانسان من عمل وتفكير انما يأتيه اشباعاً لحاجات يحسّ بها او فراراً من الألم . ولا بدّ من تذكر هذا القول اذا حاولنا ان نستقصي النهضات الروحية او العقلية وكيف تنشأ وترعرع . لان الشعور والتوق هما القوتان المحركتان للسعي الانساني والاتاج الانساني في اي شكل من الاشكال تجلّي هذا السعي او تجسيم ذلك الاتاج .

فما هو الشعور وما هي الحاجات التي حمت الانسان على التفكير تفكيراً دينياً او على الايمان باوسع معاني الايمان والتفكير الديني . فنحن اذا تأملنا ذلك وجدنا ان عواطف مختلفة كانت مهدياً للتفكير الديني وللاختبار الروحي

ففي الشعوب البدائية كان الخوف اول حافز للانسان على الشعور الديني - الخوف من الجوع والخوف من الحيوانات الضارية والخوف من المرض والموت . ولما كان فهم العلاقات السببية الكائنة بين مظاهر الطبيعة وعللها محصوراً في نطاق ضيق ، كانت النفس البشرية تخلق كائناً شبيهاً بها الى حدّ ما ، ترجع اليه كل الافعال والاختبارات التي تبعث فيها شعور الخوف . وتأمل ان تسترضي هذا الكائن باعمال وتضحيات تثبت خبرة الشعب التقليدية انها امور ترضيه او تكسر من حدة غضبه . هذا دين ادعوه دين الخوف

ثم يستقرّ هذا الدين بتكوين طائفة من الكهنة تدعي انها تتوسط بين الناس والكائنات التي يخافونها وبذلك تقبض على زمام السلطة وتحلّ من الشعب في اعلى مقام . وكثيراً ما يجمع زعيم او طاغية او طبقة من الطبقات التي تستمدّ قواها من مصادر ارضية ، بين منصب الكاهن ومنصب الحاكم الزماني . او قد تعقدّ محالفة بين طائفة الكهنة وطائفة الحكام للمحافظة على مصلحة الدولة والامة حسبما يرونها وثمة مصدر آخر لنشوء العقيدة الدينية في الشعور الاجتماعي وما يتصل به من ثواب وعقاب . فالآباء والامهات وكل زعماء الشعوب بشر غير معصومين عن الخطأ ولا بمنزل عن الموت فالتوق الى الاسترشاد والمحبة والمعاونة يخلق في

النفس صورة الله الادية والاجتماعية . هذا هو ربُّ العناية الذي يحمي ويحكم ويشب ويعاقب . هذا هو الاله الذي يحب ابناءه ويمهد السبيل لخلودهم . هو المعزي في الالم والبؤس والجوى المكتوم . هو الحافظ لارواح الموتى . هذه هي صورة الله الاجتماعية . ومن اليسير ان يتبع الكاتب تطوّر فكرة الله من ديانة الخوف الى ديانة الاجتماع او ديانة الآداب في كتابات اليهود المقدسة . وديانات اكثر الامم المتحضرة وخاصة امم الشرق تغلب عليها صبغة الديانة الادية ومن امم وجوه التطوّر في الامم القديمة هو تحويل الفكرة الدينية فيها من ديانة خوف الى ديانة آداب . ويجب ألا نخطئ بحسبان ديانات الاقدمين ديانات خوف مجرد وديانات المتحضرين ديانات آداب مجردة . لان الديانات الاولى والثانية انما هي مزيج ، يغلب على الاولى عنصر الخوف ويغلب على الثانية عنصر الادب . وفي كليهما يتخذ الله صورة انسان

ولكن بعض الافراد الممتازين في الامم التي بلغت مرتبة سامية من الحضارة يرتفعون بفكرتهم الدينية فوق هاتين المرتبتين . وبهم نسمو الى مرتبة ثالثة من الاختبار الديني ادعوه « الشعور الديني الكوني » . وليس باليسير تفسيره لمن لا يحس به . لانه لا يشتمل على صورة انسانية لله . ولكن من يحس به يدرك بطلان الرغبات الزائلة والاعراض الانسانية الصغيرة ونسب النظام العجيب الذي يكشف عنه في عالم الطبيعة وعالم الفكر . ويشعر ان مصير الانسان انما هو قيد له لذلك يحاول ان يختبر الكيان الكوني كانه وحدة حافلة بالمعنى

ودلائل هذه الفكرة الكونية تبدو لنا في عهدي ديانة الخوف وديانة الاجتماع . ففي مزامير داود وفي رسائل الانبياء نقع له على أثر جلي . وعنصر هذه الفكرة الكونية اقوى في البوذية منه في المذاهب الدينية الاخرى على ما اثبتته لنا رسائل شوبنهاور وعباقرة الدين كانوا يمتازون في كل العصور بهذا الادراك الديني الكوني الذي لا يعترف بالاله مصنوع في صورة انسان ولا يتحكم رجاله . وعليه يتعذر عليك ان تجد كنيسة تقوم معتقداتها الاساسية على هذه النظرة الكونية الى الدين . فقد يتفق لنا اذاً ان نجد بين هراطقة كل العصور رجالاً كانت تدفعهم اسمى البواعث الدينية . فكان بعضهم في نظر معاصريهم ملحدين وكان البعض الآخر ابراراً قديسين . فاذا نظرنا الى ديموقريطس والقديس فرنسيس الاسيزي وسبينوزا من هذه الناحية رأيناهم في صف واحد

كيف نستطيع ان نتقل هذا الشعور الديني من انسان الى انسان اذا كان لا يمكننا ان تصور الله في صورة ما ولا بأذن بطبيعته في بناء فقه ديني عليه؟ وعندى ان اسمى وظائق الفن والعلم هي ان تثير هذا الشعور وتغذيه وتحفظه متقدماً في صدور الناس المستعدين له من هنا نصل الى نظر جديد في علاقة العلم بالدين يختلف كل الاختلاف عن النظر المألوف . فدرس التاريخ يحملنا على الاعتقاد بأن العلم والدين ، خصمان يتعذر التوفيق بينهما وذلك لسبب معقول جداً . لان انساناً مشبعاً بروح التاموس الطبيعي في كل حادثة تحدث ويسلم بفكرة وجود علة لكل معلول ، لا يستطيع ان يسلم قط بفكرة كائن يعترض تسلسل الحوادث تسلسلاً طبيعياً . فلا ديانة الخوف ولا ديانة الاجتماع والآداب تستطيع ان تحل في تفكيره وشعوره المقام الاسمي لذلك ربح العلم ، خطأ ، بهدم آداب الناس لأن سلوك الانسان الادبي مبني على العطف والتهديب والعلاقات الاجتماعية ، ولا يحتاج الى تأييد ما من العقيدة الدينية . ما اسوأ مصير الانسان لو كنا نحتاج الى الله يرهبه او الله يثيبه على كل ما يفعل في ارغائه على حفظ النظام وحسن السلوك

فن الطبيعي المعقول ان تقدم الكنائس على محاربة العلم واضطهاد مؤيديه . ولكني اثبت هنا ان «الشعور الديني الكوني» هو اقوى وانبل باعث على البحث العلمي . وليس باليسير على من لا يقدر نصب الباحثين في فروع العلم ، وما يقتضيه الابداع العلمي من الدأب والتضحية والبذل في كل نواحيه ، وبعد مرعى الباحث عن الربح المادي ، ان يدرك قوة البواعث التي تفسر الباحثين على كل هذا . اي ايمان ثابت في انتظام الكون واي توق عظيم الى الفوز بلحمة من لمحات الحقيقة ، حدوا بكبير ونيون الى الكشف عن نظام الافلاك في خلال سنين متطاولة من العمل المضني الممل اما الذين لا يعرفون من العلم - البحث العلمي - الا مظاهره التطبيقية فكثيراً ما يخطئون فهم الحالة العقلية في رجال ، كان يحف بهم معاصرون هازئون ساخرون ولكنهم تبتوا على ما هم فيه فشقوا طريقاً للارواح المואخية لهم في كل البلدان وعلى مدى العصور المتطاولة . ولا يستطيع ان يتصور مصدر الوحي الذي يدفع بهؤلاء الرجال الى الثبات والتضحية والمثابرة رغم كل فشل ورغم كل سخرية ، الا من وقفوا حياتهم على هذه الاغراض النبيلة . هو الشعور الديني الكوني الذي يحر كمهم ويمنحهم القوة ! لقد قال احد الكتاب المعاصرين - وصدق فيما قاله - بان الناس المتدينين حقاً في هذا العصر المادي هم رجال البحث العلمي !